السلامة واقتصاد المنـــزل

ظل الإنسان يكافح ما وسعه الجهد لتحصيل كسب مادي يُذلل به مصاعب الحياة وتوفير دخل معقول وتأمين سبل العيش له ولأسرته.

ولكي يصل إلى مراده فعليه أنْ يهيِّئ بيتًا مستقرًّا يحقق ما يصبو إليه، ومع تقلّب الأيام يدخر قدرًا من دخله ؛ لتحقيق ذلك المطلب الضرورة كهدف يسعى إليه، يكابد المتاعب من أجله ويستقصي أقصى البذل؛ لتوفير المال قدر المستطاع؛ لبناء سكن يجد فيه راحته ويؤمّن مستلزماته.

إذن: المال هو الوسيلة التي تحقق تلك الأمنية، وبدونه لا يستطيع أنْ يقيم منـــزلاً أو تكوين أسرة أو توفير مستلزمات العيش الآمن في بيت آمن.

وإذا كان القصد الأول حفظ النفس فإن المحافظة على الممتلكات هي أيضًا القصد الثاني من مقاصد الشريعة، ويأتي البيت في ذروة مقصد المال من حيث سلامة بنائه وتحصين أروقته ومحتوياته ومقتنيات المعيشة فيه ووسائل الانتفاع بها، كونها ممتلكات يلزم رعايتها والحفاظ عليها، وهي نعمة من نعم الله على الإنسان، ومتاع من المتع التي هيَّأها الله لعباده – صيانتها مكفولة– وعدم تعريضها للضياع ملزوم به . فإذا كانت السلامة مطلوبة لحماية الأنفس فهي بنفس القدر مطلوبة لحماية البيت الذي قد لا يتسنَّى له تعويضه بسهولة، وقد لا يستطيع جمع تكاليف بنائه في فترة وجيزة أو توفير ما اقتنى في جولة يسيرة.

فكلما حرص الإنسان على بيته وتعهده برعايته، فهو –بإذن الله– سوف يصيب الحسنيين: سلامة الأرواح وسلامة المنزل، ليضمن بعد الله استمرارية الانتفاع به وبأدواته وبأجهزته وآلياته؛ لتصبّ في اقتصاد المنزل؛ حفاظًا عليه وعلى محتوياته، فيحفظ النفس والمال.

وهكذا يستطيع الإنسان أن يوفِّر ماله ويعزز اقتصادياته، وبحبوحة عيشته ورفاهية عياله، وألاّ يركن فيها إلى الإهمال وعدم توقع الحوادث، وترك إشارات الخطر دون تدخّل ومعالجة وقلة الاهتمام بالصيانة، والحذر قدر المستطاع؛ لئلا تقع الحوادث فجأة، ويحل الخطر حدثًا مهلكًا للنفس، أو متلفًا للمنزل أو جزءًا منه –لا سمح الله–، وفي كلا الحالتين خسارة وأي خسارة!

وعلينا أنْ ندرك أن أيّ حادث يقع في المنزل مهما كان بسيطًا فإن نتيجته مؤرقة، فإنْ شاءت أقدار الله ألاّ تصيب النفس والمال فإنها على الأقل تسبِّب فجيعة وألماً وفزعًا مروعًا، فالمال والنفس صنوان الحياة في المنــزل، وعدم الحفاظ عليهما يعني تعريضهما لخطر الحوادث، والبديل هو إقصاء الحوادث، فالسلامة لا تحقّق نفسها بل هي منوطة بالإنسان يحققها ليسعد بها .

فاحفظ عليك نفسك وعيالك، وصُنْ بيتك الذي جمعت له المال لتقتنيه، واعلم أن ما بنيته في سنين يمكن أن يُهدم في سويعات. فما أصعبَ البناء! وما أسهل الهدم والضياع!

هكذا تكون السلامة وِجَاءً من مُلمَّات الحوادث وموئلَ طمأنينة من مآلات الخطر، فمن سلم أمِن، ومن أمِن اطمأنَّ، ومن اطمأنَّ سكن فارتاح واستراح، ومن توفَّرت له تلك المسكونات رضي، والرضا سعادة.

إذن: السلامة محصلة لسلسلة من التوابع يقوم بعضها على بعض تتمخض عنها مقامات الأمان على النفس والمال والعيال، فيأتي مطلب السلامة في أولويات متطلبات المنازل، فإنْ حققت عوامل السلامة طردت عوامل الخطر، وندر شؤمها، يبيت الإنسانُ خاليَ البال، قرير النفس وقد هيأ تدابيرها، بمعنى أن الإنسان عمل ما باستطاعته. أما نتائج عمله فهي مرهونة بقضاء الله وقدره، فالسلامة شريان الحياة، فإذا انسد الشريان توعكت الحياة، وكان البيت عُرضة لمخاوف الحوادث، وبذا تضحي السلامة صمامَ أمان في غيابها تستحيل الطمأنينة، وهي بذلك مظلة يتفيَّأ الإنسانُ ظلالها في منـــزله .

فمنْ أحس بما يشكل خطرًا عليه أن يبادر بمعالجته، وهو شعور تلقائي في بني البشر حتى الحيوان عندما يشعر أنه غير آمن يهرع إلى جُحْره أو يعود إلى كهفه طالبًا الأمان بالابتعاد عن الخطر؛ خوفًا على ذاتها وحماية لصغارها، فما بالنا بالإنسان الذي أودع اللهُ فيه حسًّا بمثابة مجسات استكشافية للإحساس بالخطر؛ ليدرأ الخطر عن نفسه وعياله ومورد رزقه ومكان راحته ومقر استكانته؛ تفاعلاً مع غريزة حب البقاء؛ حذرًا ووقاية من كلّ ما يشكل تهديدًا على حياته ومستلزمات إقامته.

وعلى الإنسان أنْ يعي أن في الحوادث خسرانًا، وأن في السلامة أمانًا، فإذا أردتَ معالجة المرض عليك أنْ تبحث عن العرض.

❁❁❁

في بيتنا خطر

في غمرة الحياة وخضم السعي وراء العيش والبحث الدؤوب عن المعايش، ينشغل الفرد بمطالبها ذهابًا وإيابًا، شغلًا وانشغالًا، منهمكًا وراء الكسب وما يؤمِّن العيش الكريم، منشغلًا فكره بما يُرفه حياته ويبهي صورها زخرفًا وجمالًا زينة وبهاء وإشباعًا لغرائز وتلبية مطالب تشرد بهم أحوالها، وتورد بهم مسالكها؛ لتكون الحياةُ عامرةً بوسائل العيش والترفيه وما تزخر به من ماديات وتجهيزات ، وبما أن لكل ظاهر باطنًا، فقليلٌ فقط من يستوضح الخوافي ويستجلي البواطن الكامنة من المخاطر، وما يختبىء من المفاجآت.

– فتلك الكهرباء مثلا نستضيء بها ونستخدم طاقتها، ونعوّل عليها في كثير من الاستخدامات اليومية، لكننا لا نراعي ضوابطها وتفقدها واستخدامها على الوجه السليم بينما في ثناياها كوامن خطر ذات عواقب وخيمة بسبب أطفالنا أكبادنا الذين يمشون على الأرض هم معرضون لسقوط من مرتفع أو انزلاق في أرضيات مبللة أو يلحق بهم ضرر من لعبة لا نلحظه إلا بعد أنْ يطولهم أذاها، ملاحظتنا ضعيفة وضعيفة جدًّا إزاء الانتباه لها – وعلى مثل هذا وذاك مما تعرفه وما لم يمر عليك فلا يعزب عن بالك أن بيتك فيه من المخاطر ما الله به عليم.

فلا تكُن عنه لاهيًا وعن أخطاره ساهيًا، لا تكن في مشاغلك منهمكًا لدرجة تُلهيك عن سلامة بيتك وفي زخم الحياة ماضيًا ،

والخطر من حولك وفي عقر دارك حاوٍ، يتربص بك حريقٌ من حيث لا تدري ، فهذه عادة لا تعلن عن وقتها مع أن لها مؤشرات وبوادرَ ، منْ يستلهمها –كفاه الله شرها– وإنْ استبقيتها وأنت مشغولٌ عنها قد يحين وقوعها في وقت ليس على البال ولا على الخاطر، يباغتك في يقظتك أو نومتك، في لهوك أو انشغالك، إذا فارت شعلتها ولم يكُنْ لك من الله عاصم منها فسوف تصطلي بنارها وتبادرك حرارتها، قد تفقدك حياتك وخسران ذاتك ومن ولاَّك الله أمرهم، فتكون قد أضعتَ الأمانة فيهم، والسبب غفلة أو سوء تقدير وانشغال أو توانٍ واتكالية.

فيا هذا وذاك، اعلم أن في بيتك خطرًا تنبَّأ به قبل أنْ ينبئك، وتُوقعه قبل أن يُوقعك، واسبقه قبل أنْ يسبقك! في بيتنا خطر ينبغي أنْ نعيشه قبل أنْ يعايشنا!

دعونا نراجع عادتنا في مزاولة بعض الممارسات التي تعوَّدنا عليها، والتي أحيانًا تكون سبب النكبة بحادث مؤرق، أو كاد يُوقع حدثًا يفاجئنا.

فنحن نقضي جلّ وقتنا في المنزل خاصة إذا كان أجدن في إجازة أو قضاء فترة نقاهة أو استشفاء من وعكة أو الخلود إلى راحة أو مستغرق في متابعة برنامج تلفزيوني، أو منكب على تغريدات الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ومنهمك في كتابة دردشات على Whats App وما ماثلها من قنوات التواصل الاجتماعي، أو ربما يقرأ كتابًا أو يكتب في موضوع أو يحلل واقعة أو.. أو.. إلخ.

هذا الانهماك أو الاستغراق يُلهي البعض عن ملاحظة ما يستحق الملاحظة وما يحتاج إلى إصلاح وإبدال من أجهزة وأدوات والتحرك نحو معالجتها، يتركها دون تدخل مع ما فيها من سوء عاقبة وتنذر بحوادث مؤسفة .

ماذا سيقول المرء لنفسه؟ إذا ضاقت عليه دوائرها وحاق به بؤسها . أي ملام سيوجهه لذاته؟ وأي عتاب سوف يغور بداخله؟ وأي توجع وتوعك سوف يصارعه؟ أو أي شعور سينتابه؟ ستعاتبه نفسه. يا هذا كسلتَ فتهاونتَ، وغفلت فخسرت، ولم تقدّر النتائج فندمت وخسرت أعزّ ما لديك، وفقدت أثمن ما عندك ولدت فيك حسرات وزفرات. مشاهد الحريق تدعوك تقول لك في صمت أصلح وتصالح مع بيتك وأهده نزرًا بسيطًا من الترقب والتوقي كي لا تكرر غلطتك .

الحوادث لا تراعي كبيرًا ولا صغيرًا ولا غنيًّا ولا فقيرًا، غذاؤها الإهمال والغفلة والتوهان عن إدراك ما يجب إدراكه، ومعالجة ما يمكن معالجته دون تردد أو تباطؤ أو لامبالاة بما سيكون عليه الحال، وعدم الحذر مما يجب الحذر منه، وإيلاء الأولويات أولياتها، والاحتراز مما يعكر صفو الحياة، والحيطة مما يُولد الضيق والخسران، والتهاون فيما لا يصح التهاون فيه، ومبادرته قبل أنْ يضحى خبرًا ويحل حدثًا.

كلّ ذلك دليل صريح على عدم العناية والحرص بكفاية، وعدم اتباع توجيه المولى في حفظ الكيان الإنساني، وعدم تعريضه لمضرة أو إصابة بأذى، وعدم المجازفة بالنفس لمهلكة والأموال

لمضيعة؛ ذلك أن الإنسان مكلف بإحاطة نفسه وماله وما تؤول إليه رعايته بأسباب الحفظ وموجبات الحذر، كما أن عدم الأخذ بأسباب مهلك وعدم الاحتياط مخسر.

وفي نفس الوقت هي دليل فطنة من أخذ بها ومن غلب عليه حذره فقد تجاذب مع فطرته، فمنْ لم يحذر فقد ترك بابه مفتوحًا للخطر، ففي الأولى غنيمة وأي غنيمة يحصل عليها الإنسان أكثر من سلامة نفسه وبيته وماله وولده، وفي الثانية خسران وأي خسران في الحوادث.

فالسلامة ذخيرة حياة وجليل مكسب؛ لأنها قاعدة الانطلاق إلى رحاب العيش، يتسلح بها منْ حملها وتوكل على الله بها، فالتواني والتراخي في حزم الأمور قبل أنْ يستفحل أمر فيه خطورة، وأيّ خطوة أبلغ من تركها تتفاقم حتى تتحول إلى حدث مؤلم فيتوانى عن دفعها. فالحوادث –كما أشرنا سابقًا– لها مؤشرات منْ التقطها وبادرها فقد كسب، ومنْ أدار لها ظهره وزاغ عنها بصره فسوف تحلُّ عاجلاً أو آجلاً إلا أنْ يشاء الله ألاّ تقع، فلله في أمره شؤون.

دعونا نراجع أنفسنا ونتحاسب مع عاداتنا ونتخلى عن سلوكياتنا في التواني والتراخي والإهمال والتقاعس والغفلة وعدم التواكل والاتكاء على ظاهر الأشياء دون تحسُّس سوئها وتوخي الحذر منها، فيقع الإنسان من حيث لا يحسب لها حسابًا، ولا يعطيها اهتمامًا أو يُوليها عناية.

❁❁❁